موقف المفكرين العراقيين من الفكر السلفي في القرن التاسع عشر الميلادي

الأستاذ الدكتور كريم مطر حمزة الزبيدي
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

ظهور السلفية في شبه الجزيرة العربية ، وتعرف بالوهابية نسبة لمؤسسها محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ال حشرف (١٧٠٣ - ١٧٩٢) ، الذي دعى اتباعه للجهاد في سبيل الدعوة ، والتي تدعو الى التقشف ، وكذلك ادعى تخليص الإسلام من البدع التي لحقت به ، واعتبر من خالفه مشركا ، وان من اتبعه قد تاب ودخل الإسلام الصحيح ، وكان يدعو للخلاص من الدولة العثمانية ، والقضاء عليها بوصفها دخيلة على الإسلام ، وكان يدعي انه يريد ارجاع مجد المسلمين الأوائل ، وهي إشارة الى السلف ممن سبقه ، وكان مؤيدوه يلقبون انفسهم بالنجديين . وقد تعاون محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود في نشر الفكر الجديد وبناء دولة على اسسه .

طبيعة الفكر المتطرف لمحمد بن عبدالوهاب لا يقبل الحوار والنقاش والرأي الاخر من المسلمين ، بل يسارعون باستخدام الإرهاب لقمع الحوار والمعارضة ، ولا يعترفون بأن هناك مدارس إسلامية ذات عراقة في التاريخ الإسلامي ، لا يعدون مخالفيهم من الفرق الثلاث والسبعين ، واثنين وسبعين منها في النار وفرقة واحدة ناجية هي فرقتهم لا غير ، وقد وصفوا مخالفيهم بالكفرة بل ارهبوهم ، فقد رموهم بالشرك والكفر والالحاد والابتداع في الدين وان مخالفيهم أعداء السنة والتوحيد .

تعرضت الدعوة الوهابية لانتقادات كبيرة ، ولعل ابرز من انتقد محمد بن عبد الوهاب شقيقه سليمان الذي عارض أفكاره في احكام كثيرة ومختلفة ، وكذلك عارضه سليمان بن احمد بن سحيم ، وهو من اشد مخالفي بن عبد الوهاب ، وقد كفره بن عبد الوهاب ، وكذلك عارضه محمد بن عبد الرحمن بن عفالق الحنبلي الاحسائي ، وعبدالله بن الويس ، ومحمد بين سليمان الكردي ، وهؤلاء علماء كبار ومن المعاصرين لابن عبد الوهاب .

بدأ ابن سعود بإعداد العدة لغزو كربلاء في العراق عام ١٨٠٠ ، وكان الهدف منها قتل اكبر عدد ممكن من سكان المدينة ، وسلب ونهب القباب الذهبية فيها لضريحي الامامين الحسين والعباس عليهما السلام ، ويعد ذلك في الوقت نفسه تحديا لسلطة العثمانيين في العراق . ومنذ عام ١٨٠١ بدأت غزواتهم على المدن العراقية البصرة والنجف ومدن أخرى لكنها فشلت ، ولكنهم نجحوا بدخول كربلاء عام ١٨٠٢ واستباحوها قتلا ونهبا وفعلوا فيها كل المفاسد والمنكرات .

كان للتخطيط البريطاني دور كبير في توافق محمد بن عبد الوهاب مع محمد بن سعود ، وكلاهما من منطقة العيينه ، وقد تأثر صاحب الدعوة بأفكار سبقته ، ذلك انه اطلع على مؤلفات احمد تقي الدين بن تيميه وافكاره ، ولا يخفى ما لهذا الرجل من أفكار

متطرفة . ومن خلال هذا التقارب بين الاثنين تم وضع النواة الأولى للدولة السعودية الأولى ، وما ان تم تشكيلها حتى أجبرت المناطق المجاورة لها بالانضواء تحت هيمنتها ،

واتخذها ابن سعود عاصمة لدولته ، ومنها بدأ نشاط صاحب الدعوة بالانطلاق الى بقية المناطق المجاورة ، وخاصة بعد نموها الاقتصادي القائم على أساس السلب والنهب تحت مسمى الغنائم .

ان الطبيعة الجغرافية لمنطقة نجد ، وطبيعة القبائل البدوية الاجتماعية والفكرية والأفكار التي نادى بها محمد بن عبدالوهاب ، وهي امتداد لأفكار ابن تيمية التي تعتمد على التكفير واستخدام القوة في تنفيذ هذه الأفكار بعد تحالف ابن عبدالوهاب مع ابن سعود، وجعل الغنائم حافزا قويا للقبائل البدوية في القتال والهجوم على المدن والقصبات المجاورة . بل طالت هجماتهم المناطق المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والنجف الاشرف وكربلاء المقدسة .

ومن المفكرين وعلماء المسلمين العراقيين الذين ردوا على أفكار السلفية ومحمد بن عبد الوهاب ، احمد بن علي البصري القباني الذي كان أول عالم ممن رد على السلفية من العراقيين ، وكان شافعي المذهب ، وقد اظهر محمد بن عبد الوهاب في رسائله الشخصية ، الدور المؤثر الذي اضطلع به الشيخ القباني في التصدي للدعوة الوهابية وذكره مرتين مبينا ان مؤلفه (فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب) كان حجة لدى علماء نجد والاحساء المعارضين لدعوته يواجهون به دعاة الوهابية . وصدر من النجف الاشرف رد على الوهابية قام به الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه (منهج الرشاد لمن أراد السداد) ، وهو في الأصل رسالة جوابية ردا على رسالة كان قد بعثها اليه عبد العزيز ال سعود (١٧٢٠- ١٨٠٣) ، انتقد فيها بشدة المسلمين الشيعة متهما إياهم بالكفر ، بحجة زيارة المراقد المقدسة في العراق وتعظيمها عادا ذلك بالشرك ، ويعود تاريخ الرسالة الى عام ١٧٩٥ . ويتضح من تاريخ الرسالة انها جاءت بعد مدة من وفاة شيخ السلفية محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٩٢

ومن العلماء العراقيين الذين ردوا على الوهابية العلامة إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري البغدادي (١٨٢٠ - ١٨٨٢) في كتابه الموسوم (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد) ، والعلامة داوود بن سليمان البغدادي النقشبندي المعروف بابن جرجيس (١٨١٦ - ١٨٨١) في كتابيه (المنحة الوهبية في الرد على الوهابية) و(اشد الجهاد في ابطال دعوى الاجتهاد)، والشاعر جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦) في كتابه (الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق) ، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في عدد من كتبه ومناقشاته الفقهية .